الإنتاج الفلسفي في بلدان المغرب خلال العقد الأخير

محمّد آيت حنّا

ورقة خلفية للتقرير الرابع للمرصد العربي للعلوم الاجتماعية

2023

صدر عن المجلس العربي للعلوم الاجتماعيّة
بناية علم الدين، الطابق الثاني
شارع جون كينيدي، رأس بيروت
بيروت، لبنان

2023 ©

إنّ هذا العمل متوفر تحت رخصة المشاع الإبداعي نسب المصنف 4.0 دولي (CC By 4.0). وبموجب هذه الرخصة، يمكنك نسخ، وتوزيع، ونقل، وتعديل المحتوى من دون مقابل، شرط أن تنسب العمل إلى صاحبه بطريقة مناسبة (بما في ذلك ذكر اسم المؤلف، وعنوان العمل، إذا انطبقت الحالة)، وتوفير رابط الترخيص، وبيان إذا ما أجريت أي تعديلات على العمل. لمزيد من المعلومات، الرجاء مراجعة الترخيص هنا: https://creativecommons.org/licenses/by/4.0.

إنّ التسميات المستخدمة في هذا العمل وطريقة عرض المواد فيه لا تعبّر ضمنًا عن أيّ رأي للمجلس العربي للعلوم الاجتماعيّة بشأن الوضع القانوني لأيّ بلد أو إقليم أو مدينة أو منطقة، ولا بشأن سلطات هذه الأماكن أو رسم حدودها أو تخومها.

إنّ الأفكار والآراء الواردة في هذا العمل هي آراء المؤلف/ة ولا تعبّر بالضرورة عن وجهات نظر المجلس العربي للعلوم الاجتماعيّة، ولا تلزمه بها.

المحتويات

الفلسفة والمؤسّسة..... 1
القطيعة والاتّصال..... 1
الإنتاج خارج أسوار الجامعة..... 2
المراكز والمؤسّسات..... 2
رهانات الآخر والعلاقة به..... 3
أسئلة جديدة وانفتاحات..... 3
الفلسفة وصفةً..... 4
البوب فلسفة..... 4
شكل جديد للكتابة، حوامل جديدة للتعبير..... 5
صدى الأحداث..... 5
خلاصات..... 5
ملحق - في الإنتاج الفلسفي خلال العقدين الأخيرين..... 7

قد لا يكون بوسعنا الحديث عن إنتاج فلسفي مغاربيّ في العقد الأخير من غير أن نمرّ بالضّرورة من مدخلين أساسيّين، هما مدخل **المؤسّسة**، ومدخل **القطيعة والاتّصال**، وذلك راجع بالأساس لارتباط الدراسات الفلسفية الحديثة في العالم العربي عموماً، والمغرب من ضمنه، بالمؤسّسة الجامعية بشكلها الحديث من جهة؛ ومن جهة ثانية نظراً لِقِصر الفترة الزمنية التي تغطّيها هذه الورقة الخلفيّة (نحو عقد من الزّمن)، وغناها بالأحداث المتسارعة في آنٍ، فلا بدّ من طرح سؤال القطيعة والاتّصال؛ أي قياس مدى التغيير الذي طرأ على المنتوج الفلسفي (كمّاً وكيفاً، وفي الاتّجاهين سّلباً وإيجاباً). خصوصاً وأنّ الفترة التي تغطيها الورقة البحثية اتّسمت بأحداث سياسية واجتماعية أرخت بظلالها على الدّول المغاربية (تونس/المغرب/الجزائر/ليبيا/موريتانيا)، وإن كان التأثير مختلفاً من بلد إلى بلد إلّا أنّ الحركية السياسية والاجتماعية قابلها ركود مؤسّساتيّ، لا بدّ أنّه قد أثّر بشكلٍ أو بآخر على الإنتاج الفلسفي في المنطقة الجغرافية المعنيّة.

وسنحاول في هذه الورقة الوقوف على ما سبق عبر مطارحة أسئلة عديدة، واعتماد منهج يجمع بين قراءة المنتوج (كمّا ومحتوىً)، والوقوف على ما أنجز من مقالاتٍ ودراسات (وهي قليلةٌ جداً) تُعنى بالرّاهن الفلسفي في بلدان المغرب، ونركّز تحديداً على بلدان المغرب والجزائر وتونس نظراً لقلة المنتوج، أو عدم توفّر المعلومات بخصوص ليبيا وموريتانيا.

الفلسفة والمؤسّسة

لا يمكن أن نهمل الصلة الوثيقة بين الإنتاج الفلسفي خلال فترةٍ زمنيّة ما وبين شكل المؤسّسة الحاضنة وطبيعة الاحتضان، ونقصد بالمؤسّسة، الجامعة والمعاهد العليا تحديداً، لأنّ شكل الدراسة فيها ينعكس مباشرة على شكل المنتوج.

منذ بداية الألفية، حدث تغييرٌ في شكل الجامعة في المغاربية، تجلّى في توسيع قاعدة أقسام الفلسفة وتغيير شكل الأسلاك في كلّ من المغرب وتونس والجزائر. بحيث صارت معظم الجامعات تتوفّر على أقسام فلسفة، وزاد عدد المنتسبين إلى الفلسفة في كلّيات الآداب والعلوم الإنسانيّة، فبعدما كان عددهم لا يتجاوز العشرات نهاية القرن الماضي، صار عددهم بالآلاف.

في المغرب تمّ استحداث ما يعرف بالكلّيات متعدّدة التّخصّصات، وبعدما كانت الفلسفة متمركزة في ثلاث جامعات (محمّد الخامس بالرّباط، وسيدي محمّد بنعبد الله بفاس، والقاضي عياض بمراكش)، صارت كلّ مدينة تتوفّر على كلّية متعدّدة التخصّصات، فضلا عن إحداث جامعات جديدة في كثير من المدن الرئيسة وقد أثر ذلك تأثيراً مباشراً في المنتوج الفلسفي، إذ توسّعت قاعدة البحث، وزاد عدد البحوث والرّسائل الجامعية على نحوٍ بيّن؛ لكن على مستوى الكيف يلاحظ عدم رضا عامّ لدى المتابعين والمتخصّصين. كما ظهرت كذلك الماسترات متعدّدة التخصّصات، وهي كما يلاحظ من اسمها ماسترات عابرة للتخصّصات تقبل طلبةً من تخصّصات عديدة وتبحث في مواضيع مشتركة بين الفلسفة وغيرها؛ وقد كان لهذه الماسترات فائدة الانفتاح على قضايا لم يكن لها حضور قويّ داخل الدّراسات الفلسفية بالمغرب، كقضايا **الجندر والنّسوية وتحليل الخطاب والنّقد الثقافي**.

يلاحظ كذلك من شكل التكوين داخل الجامعات الذي انتقل إلى العمل من داخل مختبرات، أنّ المنتوج الفلسفي لم يعد يركّز على تاريخ الفلسفة أو المذاهب والاتّجاهات الفلسفية كما كان سائداً من قبل، وإنّما صارت البحوث أكثر انفتاحاً على قضايا الرّاهن وأسئلة الفضاء العمومي، وعلى إشكالات مركّبة لا تحصر نفسَها في تاريخ الفلسفة.

القطيعة والاتّصال

قياسا إلى ما أنتج خلال العقود السّابقة، يمكن الحديث عن قطيعة واتّصال في الإنتاج الفلسفي. قطيعة تتجلّى في خفوت الاهتمام ببعض القضايا والاتّجاهات والأسئلة، كالحداثة والإديولوجيا، وبالمشاريع النقدية الكبرى (كمشروع الأستاذ الجابري والطيّب تيزيني وغيرهما)، مقابل الاهتمام بقضايا جزئية وأسئلة جديدة كسؤال الاعتراف والجندر، وفي الآن نفسه استمرار قضايا المغايرة والاختلاف، وإن اتّخذت لبوساً جديداً.

تتجلّى القطيعة والاتّصال كذلك في الاهتمام بما أنتجه المفكّرون خلال العقود السّابقة، وهنا نجد انصرافاً، أو صمتاً، بالعموم، عن كتابات بعض المفكّرين، على رأسهم الجابري والخطيبي، إذ لا يتعدّى الاهتمام بهم إقامة ندوةٍ أو ملحقٍ في جريدة، هنا أو هناك، بينما لا حضور فعليَّ لهم في الانتاجات الحالية. بالمقابل مفكّرين آخرون ما يزال لديهم حضور قويّ، وما انفكّ يتقوّى، وعلى رأسهم طه عبد الرّحمن الذي ما انفكّت أعمالُه تُطبع مرّةً بعد أخرى، والكتابات حولَها تتناسل، ومنهجُه وفكرُه يُعتَنَقُ ويُدرس ويحلّل. وقد تكون الملاحظة هنا هي ميل الباحثين المعاصرين إلى فكره الأصولي أكثر من ميلهم إلى غيره من المفكّرين المنادين بالحداثة.

من مظاهر القطيعة والاتّصال كذلك، ما يمكن أن نلاحظَه في استمرار مجموعة من مفكّري وأساتذة العقود السّابقة في الانتاج، مقابل عزوف غيرهم عنه. وهنا نلاحظ أنّ مفكّرين واصلوا الكتابة والتأليف على منوال ما كانوا يكتبونَه من قبل، محتفظين بنفس قضاياهم وإشكالياتهم ومدافعين عن توجّهاتهم نفسها، من أمثال كمال عبد اللّطيف وعبد الإله بلقزيز ومحمد المصباحي وطه عبد الرّحمن، وآخرون استطاعوا أن يجدّدوا كتاباتهم، بحيث يعبّرون عن حساسية في الكتابة أكثر من تعبيرهم عن الانتماء إلى جيل، ونخصّ بالذّكر هنا عبد السّلام بنعبد العالي في المغرب، وفتحي المسكيني وفتحي التريكي ومحمد محجوب في تونس؛ وكذلك بروز أسماء من الجيلين الجديد والقديم كالزواوي بغورة في الجزائر وعبد الله السيّد ولد أباه في موريتانيا، وعادل حدجامي ومحمد الشيكَر في المغرب، وناجي العونلي وأبو بكر العيادي في تونس.

ولا يخفى كذلك خفوت الإديولوجيا في الإنتاج الفلسفيّ المغاربيّ الرّاهن، مقابل صعود الاتّجاه (أصولية/ نسوية...).

الإنتاج خارج أسوار الجامعة

لا يمكن أن نغفل أيضاً الإنتاج الفلسفي خارج أسوار الجامعة، وهو ما تعكسُه مجموعة من الأطر الحرّة التي تتطارح قضايا فلسفية ضمن حلقات ومنتديات لا ترتبط ارتباطاً مباشراً بالدّوائر الأكاديميّة، وإن كانت تعمل على خلق جسر تواصل بين المنتج الأكاديمي والفضاء العمومي، إمّا عبر استضافة أساتذة وأكاديميين لنقاش قضايا وأسئلة فلسفية، أو عبر مطارحة كُتب وأعمال فلسفية. نذكر منها **حلقة مينيرفا**، وهي جمعية مغربية تنشط في الفضاء الافتراضي، وتهتم بعقد محاضراتٍ وحلقيات فلسفية، من خلال اختيار تيمات معيّنة واستضافة مفكّرين ومشتغلين بالفلسفة لتدارسها ونقاشها، ومن بين المواضيع التي عالجتها حلقة منيرفا (سؤال الجماليات/ حقوق المرأة والأجيال الجديدة لحقوق الإنسان/ أسئلة الجندر/ الفضاء العمومي...)؛ وكذلك **أصدقاء ديونيسوس**، وهي جماعة فكرية حرّة كوّنها مجموعة من الكتّاب بين شعراء ودارسي فلسفة تهتمّ بقضايا الجسد والحرية والإبداع، تعقد اجتماعاً كلّ شهر في مقهى أو مطعم، تستضيف خلالَه متخصّصين في موضوع فلسفي أو إبداعيّ معيّن. وتُصدر الجمعية مجلّة فصلية بعنوان **"أصدقاء ديونيزيوس"** ومن أعدادها (جيل دلوز/ الشّعر الإيروتيكي/ جورج باتاي/ ساشر مازوخ/ الجسد...) كذلك جمعية **فواصل** في تونس التي تعنى بالفكر اليساري والتربية على الديموقراطية، وأعلنت عن مجلّة بعنوان مجلّة الدراسات القرآنية.

المراكز والمؤسّسات

برز كذلك خلال العقد الأخير دور المؤسّسات والمعاهد في نشر وتوجيه الفكر الفلسفيّ في بلاد المغرب. نذكر على سبيل المثال مؤسّسة **مؤمنون بلا حدود** التي تأسّست سنة 2013 واتّخذت مقرّاً لها عاصمة المغرب، الرّباط. يدير المؤسّسة نخبةٌ من المفكّرين العرب، من مختلف البلدان، وتنطلق، بحسب ما جاء في توصيفها من مبدأ **"إنّ الإنسان أوسع من أن تُختصَر خيريته في دينٍ أو مذهبٍ أو طائفةٍ أو عرق، وأن كرامة الإنسان وسعادته تكمن في احترام حريته في التفكير والتعبير والاعتقاد، وتقوم على إعلاء قيَم التنوع الثقافي والحضاري وعدم التمييز على أساس الدين أو العرق أو اللون."** وتسعى، بحسب ما أعلنت عنه، إلى مجاوزة الرؤى الشّمولية التي لا تقيم وزناً لاختلاف البشر وتنوّع الثقافات، وكذا الدّعوة إلى إيمانٍ عابرٍ للحدود. نشرت الجمعية، سواء على موقعها أو في مجلّتي **ذوات** و**يتفكّرون** اللّتين تُصدرُهما العديد من المقالات والدّراسات الفلسفية، كما أصدرت عدداً من الكتب، وتركّز منشوراتُها على مواضيع الاختلاف والمغايرة ومحاربة التطرّف ونقد الفكر الدينيّ. ولا يمكن أن نغضّ الطّرف عن إسهامها الكبير في توسيع قاعدة الاهتمام بالفكر الفلسفي وفتح آفاق أمام دارسين وباحثين في الفلسفة. وكنماذج لإصداراتِها الكتب التالية: **ثقافة ما بعد كورونا** (محمّد سيّد ريّان)؛ **التباسات الحداثة** (خلدون نبواني)؛ **فيما وراء الله والدّين** (بوجاوي نصر الدّين وبوزيدي نعيم).

كذلك **مركز الدّراسات والأبحاث الإنسانية مدى** الذي يعرّف نفسه كالآتي: **"جمعية شبابية غير حكومية تساهم في إنجاز التحول الديموقراطيّ على أسس علمية ومجتمعية تشاركية"**، يطغى على المركز الاهتمام بأسئلة السّياسية والمجتمع، لكنّه يساهم أيضاً في الإنتاج الفلسفي عبر مجلة **رهانات** التي يصدرها، أو عبر الندوات التي يقيمها.

لا يخفى إذن الإسهام الذي تُسهم به هذه المراز والمؤسّسات في إنتاج ونشر الفكر الفلسفي، وإن كان يُوجّه إليها نقدٌ بخصوص ارتباطها بسياسات دولٍ أو إديولوجياتٍ بعينها.

رهانات الآخر والعلاقة به

ضمن خانة المراكز والمؤسّسات كذلك يمكن أن نُدرج علاقتنا بالآخر. فلطالما كان الإنتاج الفلسفي يتعلّق ويتحدّد انطلاقاً من علاقتنا بالآخر، وبرهاناته السياسية والإيديولوجية من وراء نشر الفلسفة وتشجيع الفكر الفلسفي. وإلى حدود سنواتٍ قليلة كانت العلاقة بالآخر في بلدان المغرب تنحصر في أوروبا (خاصة فرنسا) وأمريكا، عبر المركز الثقافي الأمريكي، والمركز الثقافي الفرنسيّ. وقبلهما ساهم المركز الثقافي الروسي في نشر وإنتاج كتب ذات توجّه ماركسي.

ما يزال الفكر الفرنسي حاضراً بقوّة في بلدان المغرب، وما تزال الاتّجاهات الفرنسيّة، بحكم اللّغة والحقبة الاستعمارية، حاضرة في الجامعات المغاربية، لكن بالموازاة معها بتنا نشهد من جهة إقبال دوَلٍ أخرى على افتتاح مراكز ثقافية، مع ما يستتبعه ذلك من تغيّر في خريطة التفكير والإنتاج الفلسفي. ونشير هنا مثلاً إلى **معهد كونفوشيوس** الصينيّ الذي أصبح له حضورٌ وازنٌ في المغرب، حتّى أنّه قد بدأ يظهر في الجامعة المغربية اتّجاه يُعنى بالفلسفات الشّرقية تدريساً وإنتاجاً، وهي اتّجاهات كانت مغيّبة تماماً في السّاحة الفلسفية منذ سنواتٍ قليلة.

عموماً يظلُّ الإنتاج الفلسفي في بلدان المغرب رهين العلاقة باللّغتين الفرنسية والألمانية، في المغرب والجزائر الهيمنة للفرنسية، أمّا في تونس، فبالإضافة إلى الفرنسية، ثمّة انفتاحٌ كبيرٌ على اللّغة الألمانية، تعكسُه الترجمات الكثيرة التي ينجزها التونسيون عن الألمانية (محمّد مصباح وفتحي المسكيني، وفتحي أنقزو) ومن المغرب إسماعيل مصدق؛ ورغم هذه الهيمنة القطبية للتفكير الفرنسيّ إلّا أنّ الحوار مع فكر الآخر قد توسّع، ولم يعد منحصراً في الفكر الفرنسيّ، أو الألماني، وإنّما بتنا نشهد انفتاحاً على لغاتٍ أخرى كالفلسفة الإسبانية مثلاً أو البرتغالية اللّتين لم يكن لهما حضور يذكر في السّاحة الثقافية العربيّة والإنتاج الفلسفي العربيّ؛ ومن نتائج هذا الاهتمام ظهور ترجماتٍ لفلاسفة إسبان، خاصّة **خوسيه أورتيغا إي غاست**؛ حتّى أنّ مجموعة من الباحثين في جامعة عين الشقّ بالمغرب قد أصدروا أنطولوجيا مختاراتٍ من نصوص فلاسفة إسبان.

ثورة ترجمية

يعكس الانفتاح الذي ذكرناه في الفقرة السابقة جانباً من ثورة فعلية على مستوى الترجمة. لقد غدت النّصوص المترجمة تفوق النّصوص المؤلّفة، وهي تعكس تحوّلاً في فهم المشتغلين بحقل الفلسفة للممارسة الفلسفية؛ إذ ما فتئ يترسّخ اليقين بأنّ الترجمة ليست مجرّد أداة مساعدة للإنتاج الفلسفي، وإنّما هي جزءٌ من هذا الإنتاج؛ وذلك ما فتئ يدافع عنه كثيرٌ من المشتغلين بالترجمة والتفكير الفلسفي في بلاد المغرب، من قبيل عبد السلام بنعبد العالي وفتحي المسكيني اللّذين يريان بأنّ قدر الفلسفة المعاصر هو الترجمة. وقد عرفت بلدان المغرب ترجمة نصوص أساسية مهمّة في الفكر الفلسفي، كنصوص هايدغر وفوكو ونيتشه.

لقد غيّرت الترجمة خريطة الإنتاج الفلسفي في المغرب، حيث عملت على خلق إشكالات جديدة، وإعادة النّظر في إشكالات قديمة. حيث إنّ نقل أعمال جودث بتلر وسلوترديك وأكسيل هونيث وزيغمونت باومن قد أدى إلى الانفتاح على رؤى واتّجاهات جديدة في التفكير الفلسفي، وساهم في رواج مفاهيم جديدة، كالجندر، والاعتراف، والكيتش، والبيوئيتيقا... وكلّها مفاهيم تعكس تغيّراً في الإشكالات السائدة داخل حقل التفكير الفلسفي المغاربي. غير أنّه تغيّر لا يعكس قطيعةً مع الإشكالات السّابقة، فما تزال الإشكالات الأساسية حاضرة، كإشكال الهويّة والآخر والحداثة... إلّا أنّ بروز أسماء فلسفية جديدة (مع ما تحمله هذه الأسماء من مفاهيم وأسئلة)، أدى إلى توسّع زاوية النّظر إلى تلك الإشكالات، فلم يعد إشكال الآخر يُطرح ضمن ثنائية قطبية (من نحن ومن هم؟) وإنّما صار يُتداول ضمن حقل مغايرة تجمع الذّات والآخر ضمن حقل مشتركٍ توحّدُه الأسئلة والمصير.

أسئلة جديدة وانفتاحات

قلنا إنّ حركة الترجمة قد أدّت إلى إعادة النّظر في الأسئلة الفلسفية السّابق (مثل سؤال الهوية والديموقراطية والآخر)، وإنتاج أسئلة جديدة (الفلسفة البيئية)؛ كذلك بتنا نشهد توسّع الاهتمام بمجالات فلسفية لم تكن مركزية ضمن اهتمام المشتغلين بالفلسفة سابقاً، وعلى رأسِها الجماليات؛ إذ صار يظهر بشكلٍ جليّ مدى الترابط الحميم بين أسئلة الفلسفة والمجالات الفنيّة؛ حيث ظهرت كتابات كثيرة تعنى بأسئلة الفنّ والجماليات، وتنخرط في نقد الفنون البصرية والتعبيرية المختلفة؛ نذكر هنا كتابات فتحي التريكي ومحمّد الشيكَر ومواليم العروسي الذين يهتمّون بالمجال التشكيلي ومحمّد اشويكة الذي يهتمّ بالسينما، ومحمّد نور الدين أفاية الذي يشتغل بالجماليات عموماً؛ وهذا الانفتاح على مجال الفنون ينبغي أن يُقرأ من ثلاث زوايا؛ زاوية المشتغلين بحقل الفلسفة الذين صاروا يبحثون عن مجالات يختبرون فيها عدّتهم ومفاهيمهم الفلسفية؛ خاصّة مع الحظوة التي صارت لفكر دلوز لدى المشتغلين بحقل الفلسفة، وهو الذي تسمح فلسفته بخلق جسور مع أشكال تعبيرية عديدة (كالأدب والفنّ

والسينما)؛ ثمّ من زاوية المؤسّسة حيث برز الاهتمام مؤخّراً لدى الطّلبة والباحثين بإنجاز رسائل وبحوث في مواضيع تنتمي إلى الجماليات وأسئلة الفنّ؛ وثالثاً من زاوية الفنّانين الذين باتوا أكثر انفتاحاً على الفلسفة والنّقد الفلسفيّ.

بالإضافة إلى الجماليات برز الاهتمام بقضايا جديدة وأسئلة لم يكن ليُهتمّ بها من قبل، أو حتّى لتُعتبر قضايا يمكن أن تدخل ضمن دائرة الاهتمام الفلسفي، وذلك ما نتطرّق إليه في الفقرة التّالية.

من المهمّ كذلك ملاحظة الانفتاح على الأدب الذي أصبح يسم التفكير الفلسفيّ الرّاهن، إذ غدا الأدب بمثابة براديغم جديد للتفكير الفلسفيّ حلّ محلّ باراديغم العلوم والإبستيمولوجيا الذي كان سائداً في العقود السابقة. لقد منح الأدب والإنتاج الأدبيّ للمشتغلين بالفلسفة حقلاً لتجريب المفاهيم الفلسفيّة وفي الآن نفسه وسيلة للتدليل على الاتّجاهات والأفكار، وأيضاً معبراً إقامة علاقةٍ بالخارج، إمكاناً لجعل الفلسفة تنفتح على الفضاء العمومي وحاملاً يسهّل إمكان تمرير المفاهيم والأفكار الفلسفية.

على أنّ إحلال الأدب محلّ العلوم لا يعني القطيعة مع فلسفة العلوم أو مجاوزتها، إذ نشهد في بعض الكليات، خاصّة كليّتا الآداب والعلوم الإنسانية في كلّ من الجديدة ومراكش عودة قويّة لفلسفة العلوم وتاريخها.

لا يخفى كذلك الانصراف الملحوظ عن الفلسفة والفكر الإسلاميّين مقارنةً بالعقود السابقة، إذ لم تعد الدّراسات تعنى بالمنتوج الفلسفي والفكري الإسلامي بالقدر الذي كنّا نلاحظه من قبل، إذ لم يعد ثمّة أعلامٌ بارزون في الاشتغال على الفلسفة الإسلامية من جهة (كما كان الشّأن من قبل مع جمال الدين العلوي والجابري وأركون)، وانصرف باحثون آخرون كمحمد المصباحي إلى إشكالات أوسع من الإشكالات التي كانوا يشتغلون عليها من قبل حاصرين أنفسهم في فترةٍ تاريخية من الفكر الإسلاميّ.

الفلسفة وصفةً

شهدت السّاحة الفلسفية المغاربية ظهور تيارات تعنى بالفلسفة من حيث هي أداةً للعيش أو وصفات تعين على العيش والحياة. نذكر هنا تحديداً كتابات الأستاذ سعيد ناشيد، من قبيل كتابه، **التداوي بالفلسفة والوجود والعزاء، الفلسفة في مواجهة خيبات الأمل**. تحاول هذه الكتابات التي تقترب في جانب كبير منها من كتب التنمية الذّاتية، جعل الفلسفة في متناول شريحة واسعة من القراء، بحيث لا يهمّ أن يكون القارئ ذا اطّلاعٍ مسبقٍ على التيارات الفلسفية والمفاهيم لكي يقرأ هذه الكتب، وكذلك مساعدة المتلقّي على تدبير وجوده وحياته عبر تقديم وصفاتٍ يستعين بها في العثور عل السّعادة أو تجنّب خيبات الأمل. وعلى الرّغم من طابع هذه الكتابات التبسيطي إلّا أنّها لا تقطع تماماً مع حقل الفلسفة، إذ تستعين بمفاهيم فلسفية ومتون فلاسفة، غير أنّه يلاحظ عليها القيام بانزياح كبيرٍ فيما يخصّ تلك المتون والمفاهيم إذ تُقحمها أحياناً في إشكالات غريبة عنها.

ولا يمكن أن نقف عند هذا الجانب دون أن نذكر ما يثيره من سجالٍ، ونحيل هنا على مقالٍ كان قد كتبه الأستاذ عبد السّلام بنعبد العالي بعنوان "الفلسفة ليست وصفة طبيّة"، وتفاعل معه العديد من الكتّاب تأييداً أو ردّاً، ومن بينهم الأستاذ ناشيد نفسه الذي كتب مقالاً بعنوان "لا تُدافعوا عن الفلسفة".

البوب فلسفة

موازاةً مع ما اصطُلح عليه بـ"الفلسفة كوصفات جاهزة، ثمّة اتّجاه ما انفكّ يبرز ويزداد رسوخاً في السّاحة العربية، هو اتّجاه "البوب فلسفة"، ويظهر هذا الاّتجاه أشدّ ما يظهر في إنتاجات الأستاذ عبد السّلام بنعبد العالي. ومن بين الأعمال التي أُلّفت في هذا الاتّجاه، **الفلسفة فنّا للعيش، الفلسفة أداةً للحوار، والبوب-فلسفة**. يعرّف هذا التيار عن نفسه في كتابات عبد السلام بنعبد العالي هكذا: "يتم **الأمر في البوب-فلسفة على نحوٍ شبيه بما تحدثُه موسيقى البوب التي لا تهمّها إلا شدة الإنفعال أو الصدمة التي سيتلقاها المستمع من غير أن تنشغل بما تعبّر عنه الإيقاعات. فلا يتعلق الأمر بتوجيه رسالة إلى متلقٍ سيتبين مغزاها ودلالتها، وإنما بإرسال إيقاع شديد يهزّ الجسم ويزعزع الدماغ**."

البوب-فلسفة إذن سعيٌ إلى الخروج بالفلسفة من أسوار الجامعة، حيث تغدو المعرفة عائقا ضدّ الفكر، بهدف إنقاذها من مرض التأويلات والشروح والتعليقات، وجرّها بعيدا عن التقاليد الفلسفية التي رسّخها تاريخ الفلسفة بما يعطيه من قدسية للنصوص، وتأليه للمعاني، مع ما يستدعيه كل ذلك من مرور عبر الدواخل: دواخل الوعي ودواخل المفهوم، ودواخل النصوص. فإذا كان ما يحدّد أسلوب الفلسفة التقليدية، هو أن العلاقة مع الخارج فيها لا بدّ وأن تمرّ عبر وساطة وتذوب عن طريق داخل، أو في داخلٍ من الدواخل، فإن البوب-فلسفة تسعى، على العكس من ذلك، إلى أن تقيم الفكر والكتابة في علاقة مباشرة مع الخارج. ما يهمّ ليس الموضوع الذي ينصبّ عليه التفكير، وإنما شدّة الفكر، تلك الشدّة التي لا تتحدّد بما يخزّنه من معارف، وإنما

بالخارج الذي يُوصل به، وبقوة التيّار الذي يمرّ، وبما يتولد عنه من مفعولات مغناطيسية وحرارية قد تحوّل الفكر عندما يعمل، فتقيم تيارا ضد تيار، وآلة ضدّ أخرى، وتجريبا ضد آخر.

ويظهر اختلاف البوب-فلسفة أشدّ ما يظهر في طبيعة الموضوعات المتناولة؛ موضوعات تختلف عن الموضوعات التقليديّة المألوفة في الكتابات الفلسفية (الإيديولوجيا/العدالة/الزمن...)، فالبوب فلسفة وإن كانت تعالج هذه الموضوعات الكبرى، إلّا أنّها تعالجها عبر ميكرو-موضوعاتٍ تبدو غريبة عن حقل التداول الفلسفة؛ نجد مثلاً في الإنتاجات المعاصرة مقالاتٍ وكتاباتٍ تعالج مواضيع من قبيل: كرة القدم/ منطق الإشاعة/ فلسفة الجي بي إس/ الواتساب... إلخ.

شكل جديد للكتابة، حوامل جديدة للتعبير

لم تقف البوب فلسفة عند حدود الموضوع، وإنّما تعدّته لتؤثّر في شكل الكتابة نفسه؛ فالملاحظ تغيّر كبير في شكل الكتابة المعاصرة التي ما انفكّت تنحو نحو التخلّص من شكل الكتابة الأكاديميّة، والانصراف عن المشاريع النقدية الضخمة، نحو كتابة خفيفة؛ كتابة على نحوٍ مغاير؛ صار المقال الفلسفي غير معنيّ مثلاً بالحواشي والإحالات، وصارت الكتابة متشذّرة ومتصدّعة، كتابة تناسب طبيعة العصر. حتّى أنّ معظم الكتابات صارت تجميعاً لمقالات.

غير أنّه لا ينبغي أن نغفل هنا عن طابع الشعبوية في الكتابة الذي يميّز العديد من الإنتاجات التي وإن تخلّت عن ثقل الكتابة الأكاديميّة فإنّها لم تستطع أن تُبدع كتابة على نحوٍ مغاير.

كذلك ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار الحوامل غير المكتوبة، والتي صارت تفرض نفسها كوسائل لنشر وإنتاج الفكر الفلسفي، كقنوات يوتوب التي تسمح بعرض المحاضرات وتقديم الدّروس، وتبسيط الفلسفة. وميزة هذه الحوامل سهولة الانتشار والارتباط المباشر بالأحداث الرّاهنة.

مقابل شيوع النّشر على الحوامل غير المكتوبة، والمكتوبة غير الورقية، نشهد انحساراً للحامل الورقي المتمثّل في المجلّات، إذ تكاد تنعدم المجلّات الفلسفية المتخصّصة، خاصّة بعد إغلاق مجلّات (فكر ونقد ومدارات فلسفية وجدل، ومجلّة مجمعية مدرّسي الفلسفة...)، وإن كانت المقالات الفلسفية تجد لنفسها حيّزاً ضمن المجلّات المتعدّدة التخصّصات. كذلك يمثّل النّشر الإلكتروني بديلاً للمجلات عن النّشر الورقيّ.

صدى الأحداث

لقد كان العقدان الأخيران حافلين بالأحداث المفصلية: ما بعد سقوط البرجين في الولايات المتّحدة الأمريكية، وقضيّة الإرهاب العالميّ، والحراك العربيّ، ثمّ أزمة كورونا.

وكان لابدّ أن تخلّف كلّ تلك الأحداث صدىً في الإنتاج الفلسفيّ، وقد بدا ذلك جلياً في طبيعة الموضوعات التي صار يُتهافت على تداولها ونقاشها في المؤتمرات والنّدوات، بدءاً من قضايا الإرهاب التي سيطرت لمدّة بعد سقوط البرجين، وأدّت إلى إعادة التّفكير في أسئلة الهوية والآخر، وبروز مفاهيم الاختلاف والمغايرة والتّسامح؛ إلى الحراك العربيّ الذي أدى إلى بروز مفاهيم التغيير والحراك والحرية والديموقراطية والشّعب... إلى أزمة كورونا التي أدّت إلى إعادة التفكير في حدود الحرية والفضاء والمجال والحجر وغيرها.

يبرز هذا الصدى من جهة في الندوات والمؤتمرات المنعقدة، ومن جهة أخرى في الكتابات الصّادرة التي يعاب عليها في الغالب الأعمّ أنّها لا تأخذ مسافةً زمنية كافية من الحدث للتفكير فيه ورؤيته بعين الموضوعية، وإنّما تخوض فيه وهي مستغرقة فيه، فتكون أغلب الإنتاجات مستعجلة ولا تفتقر إلى العمق.

خلاصات

يشهد الوضع الإنتاجي الحالي هيمنة الكتاب المدرسي، إذ إنّ عدد الكتب والكراسات المدرسيّة التي تظهر سنوياً يفوق بكثيرٍ كتب التأليف في قضايا الفلسفة العامّة. وبالتّأكيد لمنطق السّوق دورُه في ذلك، إذ مقابل العزوف عن اقتناء الكتب نشهد تهافتاً على الكتب المعينة في التدريس الفلسفيّ. فكان لابدّ من هذه الإشارة قبل إعطاء الخلاصات.

- شكل المؤسّسة الجامعية في بلاد المغرب ينعكس مباشرةً على شكل الإنتاج الفلسفي.
- لم تعد المؤسّسية الجامعية مع ذلك تحتكر الإنتاج الفلسفي، بل غدا الإنتاج الفلسفي يتمّ من خارج أسوار الجامعة، مستفيداً ممّا يمنحه الفضاء العموميّ من إمكان الاتّصال مباشرة بالمتلقّي.
- انحسار الإديولوجيات الكبرى (ماركسية/ لبرالية)، مقابل بروز الاتّجاهات (أصولية/ نسوية...)
- بروز شبكة مفاهيميّة جديدة (الاعتراف/ البيوئيتيقا/ الجندر...) مقابل الشّبكة القديمة (مساواة/ حداثة/ أسلمة...)
- اعتماد قراءات جديدة لبعض الفلاسفة الألمان، تحت تأثير ما عرف في فرنسا بموجة إعادة القراءات.
- ظهور الاهتمام بمفكّرين جدد (هونيث/ بثلر/ باومان/ سلوترديك) مقابل انحسار الاهتمام بفلاسفة آخرين (باشلار/ سارتر...)، وتجدّد الاهتمام بمفكّرين غيرهم (فوكو/ دولوز/ بورديو...)
- علاقة جديدة أخذت تظهر بين الفلسفة والأدب، على حساب ما طبع العقد الماضي من ارتباط بين الفلسفة والعلوم.
- انحسار الدراسات الجادة لتاريخ الفلسفة في الإسلام.
- الانفتاح على آفاق فلسفية جديدة وإن كان أفق التفكير الفلسفي الفرنسيّ ما يزال هو المهيمن.
- الاهتمام بالترجمة، ليس من حيث هي أداة لنقل النّصوص وإنّما باعتبارها جزءاً من الإنتاج الفلسفيّ نفسه.
- ظهور اتّجاهات في الكتابة الفلسفية تنحو نحو التنمية البشرية، وتدعو إلى اعتبار الفلسفة مدخلاً للسّعادة والتّوازن النّفسي.
- ظهور البوب فلسفة كتيار يهتمّ بما كان يعتبر حتّى الآن خارج مجال التفكير الفلسفيّ.
- تأثّر الإنتاج الفلسفيّ بالأحداث العالمية والمحليّة، وانخراطه فيها انخراطاً مباشراً وإن لم يكن مؤثّراً بالضّرورة.

وعلى الرّغم من كلّ ما سبق يظلّ العنوان البارز هو الأزمة، إذ لا يبدو أنّ الإنتاج الفلسفيّ الرّاهن يساهم في خلق نقاش عموميّ أو تغيير أو حتّى يُتداول كما كان يُتداول نظيرُه منذ عقود. والظّاهر أنّ الإشعاع الفلسفيّ الذي عرفته الجامعات المغاربية (خاصة في المغرب وتونس) منذ عقود لم يكن متجذّراً، ولم يخلق تقاليد فلسفيّة راسخة.

ملحق - في الإنتاج الفلسفي خلال العقدين الأخيرين

فلسفة اليومي/ بوب فلسفة

عبد السّلام بنعبد العالي

- **الفلسفة فنّا للعيش**. دار توبقال 2012.
- **أشياء سبق الحديث عنها**. دار توبقال 2012.
- **البوب فلسفة**. دار توبقال 2015.
- **سيميولوجيا الحياة اليومية**. دار توبقال 2012.

الفلسفة وصفةً

سعيد ناشيد

- **التداوي بالفلسفة**. دار التنوير، 2018.
- **الطمأنينة الفلسفية**. دار التنوير، 2019.
- **الوجود والعزاء، الفلسفة في مواجهة خيبات الأمل**. دار التنوير، 2020.

الفلسفة والأدب

عبد السّلام بنعبد العالي

- **القراءة رافعة رأسها**. دار توبقال، 2019.
- **النص المتعدد**. دار توبقال، 2020.
- **الكتابة بالقفز والوثب**. دار المتوسط، 2020.
- **قراءات من أجل النسيان**. دار المتوسط، 2021.

الفلسفة والتّرجمة

عبد السّلام بنعبد العالي

- **انتعاشة اللغة**. دار المتوسط، 2021.

محمّد جديدي

- **الترجمة، رؤية فلسفية**. منشورات مؤمنون بلا حدود، 2019.

إنتاجات فلسفية معاصرة

محمّد الشّيخ

- **كتاب الحكمة العربية**. الشّبكة العربية للأبحاث والنشر، 2019.
- **فلسفة الحداثة في فكر هيجل**. الشّبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008.

فتحي إنقزو

- **معرفة المعروف، تحوّلات التأويلية من شلايرماخر إلى دلتاي**. مؤمنون بلا حدود، 2017.
- **هوسرل ومعاصروه: من فينومينولوجيا اللغة إلى تأويلية الفهم**. المركز الثقافي العربي، 2006.

ترجمات مهمّة

فتحي المسكيني

- مارتن هايدغر، **الكينونة والزّمان**. دار الكتاب الجديد، 2012.

ناجي العونلي

- بيتر سلوتردايك: **نقد العقل الكلبي**. مجلّدين، منشورات الجمل (2019- 2021).
- هيجل: **الإيمان والمعرفة**. معهد تونس للتّرجمة، 2020.
- تيودور أدورنو: **نظريّة إستطيقيّة**. منشورات الجمل، 2017.
- هربرت ماركوز: **النّظرية التقليديّة والنّظريّة النقديّة**. منشورات الجمل، 2017.

عبد العزيز العيادي

- دولوز وغوتاري: **الرأسمالية والفصام، أوديب مضاداً**. منشورات الجمل، 2021.

آدم فتحي

- سيوران: **رسالة في التحلّل**. منشورات الجمل، 2021.
- سيوران: **اعترافات ولعنات**. منشورات الجمل، 2018.

إسماعيل مصدق

- هايدغر: **الأسئلة الأساسية للفلسفة**. دار الكتاب الجديد، 2018.

محمد آيت حنّا

- جان هيرش: **الدّهشة الفلسفية**. منشورات الجمل، 2019.

الزواوي بوغورة

- ميشيل فوكو: **تأويل الذّات**. منشورات صوفيا، 2019.
- ميشيل فوكو: **يجب الدّفاع عن المجتمع**. منشورات صوفيا، 2019.